ـ بين يدي الكتاب ـ

ذكرني كتاب صديقي الدكتور فؤاد مافعله أحد الأدباء عندما كتب رسالة طويلة الى صديق له ثم اعتذر في نهايتها بأن وقتـــه كان ضيقاً فلم يتسن له الايجاز ، وان وقته لو كان كافياً لما أطال الرسالة . وهذا الذي اعتذر منه الأديب قد يبدو في ظاهره منافيـــاً لما ألفه الناس ، إذ تعودوا أن يطيلوا مع اطالة الوقت ، وأن يوجزوا مع قصره . ولأمر ما اعتبرت العرب الايجاز هو البلاغة ، لأنه يجمع المعنى الكثير في اللفظ القليل . ومن المعلوم أن إيداع المعنى الكثير في اللفظ القليل يحتاج إلى وقت أطول من الكلام الذي يتساوى فيـــه اللفظ والمعنى . أقول : تذكرت هذه الحادثة ، لأن مؤلف هذا الكتاب قد فعل الشيء نفسه ، إذ لخص سيرة الأدب الأوربي في اتساعه وشموله وتنوع لغاتـــه وبيئاته في هـــذه الصفحات اليسيرة ، مع التزام الدقة والعلمية في الكتابة .

إن الصعوبة في كتابة مثل هذا المدخل الى الآداب الأوربية ، لاتكمن في هذا الأمـــر وحده ــ أعني اتساع الآداب الأوربية وتنوعها ــ وإنما في أشياء كثيرة ، منهـــا التزام حد معين يراعى فيه الوقت لطلاب السنة الرابعة من قسم اللغة العربية ، وهو ثمانية أشهر ، مع مراعاة المحصول الثقافي لهؤلاء الطلبة . ولذلك يبقى السؤال ماثلاً أمام المؤلف على الدوام : كيف تسهل هذه المادة لهؤلاء الطلبة الذين يواجهونها أول مرة ؟ أيختار المؤلف عيون هـــذه المؤلفات ثم يقف عندها ؟ فيبدو الأدب الأوربي عندئذ شامخاً متألقاً تتضاءل أمامه الآداب الأخرى ، أم يتناول في حديثه هذه السفوح والمنحدرات فيطول الكلام ويكثر ؟ .